

وأنها قادرة على التأثير في القاعدة الاقتصادية . ويمكن أن يُقال عن ماركس وإنجلز بوجه عام ، إنها - على عكس الانطباع السائد - كانا متواضعين ، ومشوشين ، ومتخطين ، في حين كان رجل مادي مثل تين واثقاً كل الثقة مما يقول . ولقد حاول ماركس ذات مرة أن يفسر لماذا كانت قصائد هومبروس جيدة جداً ، في حين كان المجتمع الذي أنتجها من وجهة نظره - التي هي وجهة نظر صناعية - بدائياً جداً ، غير أن هذه المحاولة سببت له اضطراباً شديداً . ولو قارنا مناقشة هذه المشكلة بمناقشة فيكولوجومبروس ، لرأينا أن مسألة تفسير الأدب في ضوء فلسفة التاريخ الاجتماعي قد أصبحت أكثر صعوبة وتعقيداً ، بدلا من أن تصبح أكثر بساطة وسهولة .

إن ماركس وإنجلز كانا - فوق ذلك - متشربين حتى الشبع بالإعجاب بالألماني بالأدب الذي تعلماه من عصر جوته . ولم يحدث قط أن شك أحدهما في أن « الشاعر » Der Dichter ليس إلا واحداً من أنبل أفراد الجنس البشرى وأعظمها إفادة وخيراً .

وعندما كتب إنجلز عن جوته استحضره كإنسان معد « لحياة عملية » ، ورأى أن مسار حياته المهنية كان مصاباً بالإحباط بسبب « بؤس » الموقف التاريخي في ألمانيا في عصر . وأخذ يلومه على سماحه لنفسه بالتردى في فلسفينة الطبقة التي جاء منها ، أى إلى النزعة المادية المحافظة « الحذرة ، الضيقة ، المعتدة بنفسها » ، إلا أن إنجلز يتأسف لهذا لأنه تداخل في تطور « العبقريّة الهازنة ، الجريئة ، التي تحتقر العالم » .

كما أن النقاد العظام الذين تعلموا على أيدي ماركس وفرانز مهرنج Franz Mehring ، وبرنارد شو ، لم يتخلوا عن احترام الأدب وكهنوتيته . فبرنارد شو يتأسف لافتقار شكسبير إلى الفلسفة السياسية ، كما يتأسف لما يسميه بالتظاهر المزيف الذي تدعيه الطبقة الوسطى عنده . ومع هذا ، فإن شويختنر بشعر شكسبير وبخياله الدرامي تماماً على نفس مستوى حماس سوينبيرن Swinburne ، واصفاً أعماله - حتى هذه الكوميديات التي تمر بالحركة مثل « الليلة الثانية عشرة » و « كما تنواه » ، حيث تبدو نباتها بالنسبة له أكثر تفاهة وغثاء - بأنها « جواهر تاج الشعر الدرامي الإنجليزي » . إن ناقدًا كهذا ، يمكن أن يفعل شيئاً كثيراً للكاتب ، بأن يريه إنساناً واقعياً ، في عالم واقعي ، وفي لحظة زمنية معينة ، وكذلك لناقد تأثرى من نوع سوينبيرن الذي ازدهر في نفس الفترة من أواخر القرن التاسع عشر . إن الناقد التأثرى القح يقترب من الأدب كله كما لو أنه يقترب من معرض من جواهر الأدب الفني الجميل ، وكل ما يمكن أن يفعله هو أن